حضور الخطابات الواصفة في الممارسات النقدية الجزائرية المعاصرة
(تجربة عبد الملك مرتاض أنموذجا) د. أسامة عميرات.
المدرسة العليا للأساتذة سطيف

مقدمة:

تدخل الخطابات النقدية دوريا في مراجعة ذاتية، فاحصةً المنطلقات المعرفية وقدرتها على مسايرة المتغيرات الحاصلة في الثقافة النقدية المعاصرة، ومسائلةً للأجهزة الاصطلاحية والمفاهيمية ومقيّمةً لأداء المناهج النقدية في تحليلها للنصوص الأدبية؛ وما يصطلح عليه بنقد النقد أو النقد الواصف أو النقد الشارح؛ الذي يختلف بدوره عن النقد الأدبي من حيث الرؤية والإجراء.

تطرح هذه الدراسة في الإجابة سؤالا مركزيا هو: كيف كان حضور نقد النقد في المدونة الجزائرية المعاصرة، وبالتحديد عند عبد الملك مرتاض؟ أو ما سؤال نقد النقد في كتابات عبد الملك مرتاض النقدية.

للإجابة عن هذا السؤال وغيره قدمنا جملة من الفرضيات التي تحولت بدورها إلى محطات بحثية داخل هذه الدراسة المتواضعة، من محاولة المصطلح والمفهوم "نقد النقد"، ومحاولة التأصيل والتأثيل له في المدونة النقدية الغربية والعربية، وتقديم نماذج تطبيقية تكون شارحة وواصفة لهذه الممارسة المعرفية، وهذا من منظور الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض.

2. تشكّل اللغة الواصفة في الخطاب النقدي المعاصر؛

1.5 من النقد إلى نقد النقد:

يدخل النقد الأدبي في علاقة حوارية منتجة مع الخطابات الأدبية المختلفة؛ شرحا وتحليلا وتأويلا وتقييما، جاعلا محو اهتمامه النص الأدبي في حركيّته نحو إنتاج المعنى والتأثير على المتلقي، وتقديم جملة من الملاحظات والتوجيهات المهمة لنجاح العملية الأدبية؛ معنى هذا أنّ النقد " هدفه استكشاف مادة الأدب عن طريق مقاييس العقل، وضوابط المنطق، وأدوات الإدراك، بغية الوعي بخبايا الظاهرة الجمالية يتحول بطبيعة أمره إلى إبداع جديد تقتضي لغته لغة النص الذي كان موضوع النظر والتمحيص لدى الناقد، فتتماهى اللغتان لغة النص الموضوع ولغة النص المحمول عن طريق محاكاة النص الناقد للنص المنقود." 1

فالنقد بدوره ينتج لغة ثانية على لغة أولى سابقة له، هي لغة الأدب التي هي ترجمة لعالم داخلي وخارجي يعيشه المبدع، وتظهر على شكل نماذج تعبيرية مختلفة؛ (شعرية / نثرية) تغري المتلقي (المتخصص / المتذوق) على مباشرة القراءة وفعل الكتابة؛ " يرى تودوروف أن أول فعالية توجه إلى النص الأدبي هي وجهة النظر الإسقاطية The Projective attitude وهي تنطلق من مفهوم يرى أن النص الأدبي هو عملية نقل أو ترجمة تبدأ من شيء أصلي آخر. ولذا فإن مهمة الناقد تتمثل في توجيهنا نحو الطريق المعكوس لاستكمال الدورة والعودة إلى الأصل."2 الذي هو جمال الطبيعة وخصوصيات الوجود الإنساني وعلائقه المختلفة والمتنوعة.

إذن هناك علاقة تتابع واتصال بين العمل الأدبي والفعل النقدي، من حيث البحث في المكونات والخصائص والكشف عن المداخل النظرية والتطبيقية للعمل الأدبي، وذلك بالتركيز على الأطراف الفاعلة في العملية الإبداعية (المبدع – النص – المتلقي)؛ "إن كل

1- عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، مصر، 2003، ص 40-41.

2- فاضل ثامر: اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ط01، لبنان / المغرب، 1994، ص 49.

نظرية من نظريات الأدب تتجه بدورها إلى التركيز على حد من الحدود السابقة: الكاتب/ النص/ القارئ. وبذلك يمكننا القول بأن هناك ثلاثة اتجاهات أساسية في قراءة العمل الأدبي أو النصوص الأدبية بعامة:

الاتجاه الأول: قراءة تهتم بالكاتب/ المؤلف ونجدها في المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية.

الاتجاه الثاني: قراءة تهتم بالنص / الأثر الأدبي ونجدها في المناهج النصوصية بعامة مثل البنائية والشعرية والسيميولوجية والتفكيكية.

الاتجاه الثالث: قراءة تهتم بالمتلقي / القارئ ونجدها في نظريات التلقي."1

هذا مجمل الاشتغال النقدي الحديث والمعاصر على النص الأدبي (الشعري والنثري) وتفرد كل منهج من المناهج النقدية بالخلفية النظرية والفلسفية له، وبالمقولات والآليات المنهجية المعتمدة في النقد والتحليل والتأويل، والتأثيرات الثقافية مع باقي الحقول المعرفية والعلوم الإنسانية.

إنّ هذه الأجهزة النقدية المشتغلة على النصوص الأدبية، قد عرفت مراجعة داخلية، شملت الأنساق المعرفية المكوّنة للعمل النقدي أساسا؛ والتي تدخل ضمن المراجعات الكبرى التي عرفتها النظريات العلمية والشعب المتخصصة في الفكر والاجتماع والاقتصاد، أو ما يُطلق عليه بـ: **نظرية المعرفة**؛ على اعتبار أنّ الحقيقة ليست " نهائية، بل هي قراءة وإعادة قراءة أي سلسلة من التأويلات المتلاحقة للعالم والأشياء. وليست ثابتة بقدر ما هي بناء متواصل وسيرورة لا تنتهي ولا تكتمل. إنها ليست مطلبا بقدر ما هي أفق باتجاهه. وهي ليست يقينا جازما بقدر ما هي انفتاح على الاحتمال وعلى الخطأ نفسه."2 لذلك اشتهرت نزعة أو اتجاه عرفّ بالما-بعديات ...- post، ما بعد الحداثة – ما بعد البنيوية – ما بعد الكولونيالية .... معنى هذا أنّ هناك حركة تصحيحية- تشييدية، تبحث في مواطن الخلل في

1- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، دط، القاهرة، مصر، 1999،ص 04.

2- علي حرب: نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط01،لبنان / المغرب، 1993، ص 02.

التفكير والقصور في متابعة المتغير المستمر في الوقائع والأحداث؛ " يصطبغ وجودنا اليوم بإحساس مبهم بالبقاء، حيث نعيش على تخوم الحاضر الذي لا يبدو أن له اسما ملائما غير التحولية الراهنة والسجالية، للسابقة "ما بعد" (post)ما بعد الحداثة ما بعد الاستعمار ما بعد التسوية."1

لم يكن النقد الأدبي المعاصر في غنى عن هذه المراجعة المعرفية أو الحركة التصحيحية الداخلية، لهذا العقل النقدي من جهة منطلقات التفكير وآليات التحليل وفرص التداول والتنزيل، لهذه المصطلحات والمفاهيم والآليات، والتحيين الدوري والمستمر للأنساق المتحكمة في العملية النقدية، وهذا بما ينسجم وخصوصيات المرحلة التاريخية للنصوص الثقافية، ويتسّق مع حركية النصوص النقدية المنتجة؛" وهذا ما يجعل منه حقلا يتكشف فحصه والاشتغال فيه عن إمكان للوجود والفكر معا. ومعنى الإمكان هنا أن استكشاف النص يؤول إلى إعادة ترتيب علاقاتنا بوجودنا ومقولاتنا، بالحقيقة والذات والعقل والمعنى والمؤلف والقارئ.. والواقع أن الثورة التي شهدتها الأفكار والمعارف في العقود الأخيرة، إنما تقدم ما تقدمه من كشوفات جديدة مهمة، انطلاقا من نقد النص وتفكيك الخطاب."2

دخل الفكر النقدي الغربي في مساءلات معرفية عميقة، شملت الوحدات الجوهرية لهذا العقل النقدي؛ وتفكيك المقولات المحورية في الثقافة النقدية السائدة؛ يقول ميشيل فوكو: " نعثر على مفاهيم مثل "العقلية" والروح"، وهما مفهومان يبيحان النظر إلى بعض الظواهر المتآنية أو المتتالية في فترة تاريخية محددة، كما لو كان لها معنى واحد، وتجمعها روابط رمزية تجعل بعضها يحيل إل الآخر، ويلمها نوع من التشابه والتماثل. ويركزان على سيادة وعي جماعي، كمبدأ للوحدة والتفسير."3 لكن هذا الأمر لا يعد سليما ومنهجيا من منظور ميشيل فوكو، بل يستوجب إعادة النظر في هذه المفاهيم والمقولات والأدوات." علينا

1- مايكل بايدن وآخرون: قاموس النظرية الثقافية والنقدية، ج 1، تر: هيثم غالب الناهي، مصطفى حجازي، محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، ط01،بيروت، لبنان، 2020، ص 23.

2- علي حرب: نقد النص، المركز الثقافي العربي، لبنان / المغرب، ط04، 2005، ص 08.

3- ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، ط02،لبنان / المغرب، 1987، ص 22.

أن نضع من جديد موضع سؤال، هذه التركيبات الجاهزة، ونطرح ثانية للبحث تلك التجميعات التي درجنا على تقبلها دون إعمال للفكر النقدي، ومراجعة تلك الروابط التي نقر هكذا، بوجودها منذ البداية. يجب إزاحة هذه الصور وتلك القوى الغامضة التي جرى العرف على اتخاذها أداة للربط بين خطابات البشر."1 وحلّ محلها مبدأ الإزاحة والاحتمال، إزاحة المقولات القابعة في اللاشعور المعرفي الغربي لسنوات وقرون طويلة، وتعويضها بمفاهيم قابلة للتغيير والتجديد متى دعت المرحلة التاريخية بكل خصوصياتها المعرفية والمنهجية إلى ذلك؛ "وهذا هو المهم في الموجة النقدية الجديدة: ليس التسميات والأطروحات أو الإعلانات والبيانات، وإنما الإمكانات التي تفتحها للفهم والتشخيص أو لإعادة البناء والتركيب."2 بتعبير علي حرب.

السرّ من وراء المراجعة المعرفية للكتابات النقدية المعاصرة هو إعادة البناء والتركيب، والعمل على تصحيح المسار النقدي أثناء قراءة العمل الأدبي، وفحص أدوات القراءة والتحليل، وفرص توليد المصطلح والمفهوم القادرين على ضبط حدود الممارسة النقدية المنتجة، والمعاينة الدقيقة والمستمرة للآليات المنهجية الموظفة في عمليات الفهم والتفسير والتحليل والتأويل والتقويل؛ أي إنتاج لغة واصفة لهذه العملية النقدية تحدد مجالات النظر وآليات التفكير النقدي وأحكام القيمة على الأعمال الأدبية. " لابد أن نشير إلى أن هذا المصطلح (اللغة الواصفة) قد ارتبط منذ الستينات والسبعينات مع الناقدين "جيرار جينيت" (Gerared Genette) و "رولان بارت" (Roland barthes) بالنقد البنيوي، وقد أفرد له جينيت فصلا كاملا في بعض كتبه : (مقدمة لجامع النص) Introduction a (l'architexte) 1979 وأطراس (Palimpsestes)1982، وعتبات (Seuils) 1987 ... وعدّه وظيفة ضرورية لتحقيق شعرية النّص، إذ عرّفها في كتابه "أطراس" بالميتانصية Méta textualité وذلك من خلال حديثه عن (العبر- نصية Transtextualité)."3

1- ميشيل فوكو: حفريات المعرفة: ص 22.

2- علي حرب: تواطؤ الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط01،الجزائر، 2008، ص 21.

3- حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد – فوضى الحواس – عابر سرير)، دار الأمل، دط، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص 14.

وعليه، فاللغة الواصفة مؤشر ضروري في الخطاب الأدبي والنقدي، لما تمارسه من فعل التعليق والتحقيق والتدقيق للنص المنقود. يشير الناقد البلغاري تزفيتان تودوروف في مؤلفه: " نقد النقد، رواية تعلم" أن نقد النقد / الميتا نقد / اللغة الواصفة، ممارسة احترافية يقوم بها نقاد خبروا الفعل النقدي جيدا، وفهموا جيدا خباياه وأسراره؛ وهذا مصبّ اهتمامه في مُؤلَّفه هذا: " ينصب اهتمامي هنا على معالجة موضوعين متداخلين، أتابع في كل منهما هدفا مزدوجا. إني أرغب أولا في معاينة الكيفية التي تم فيها التفكير بالأدب والنقد في القرن العشرين؛ وأن أسعى في الوقت نفسه لمعرفة ما قد تكون عليه فكرة صحيحة عن الأدب والنقد.

كما أنني أرغب من ثمّ في تحليل التيارات الإيديولوجية الكبرى لهذه المرحلة كما تتجلى من خلال التفكر حول الأدب، وأن أسعى في الوقت نفسه إلى معرفة أي موقف إيديولوجي كان أكثر متانة من المواقف الأخرى. واختيار التفكر النقدي."1 وهنا تظهر القيمة الكبرى لهذا الخطاب الواصف للعمل النقدي من خلال متابعة حركة الأنساق الداخلية له، وأهم الأبعاد والخلفيات الفلسفية والإيديولوجية المتحكمة فيه، من منظور تأكيد دور الفاعل المعرفي أو الميتا نقدي في توجيه الاشتغال النقدي على العمل الأدبي.

3.نقد النقد/ الخطاب الواصف: (الاصطلاح والمفهوم):

تُترجّم اللازمة الإضافية لهذا الحد النقدي " نقد النقد – الخطاب الواصف " بـ Meta " التي تحمل معنى التوضيح في القول؛ وتظهر أساسا في " المفردات والعبارات التي تعد وسيلة لغوية صريحة لإبراز وعي المتكلم بمجرد الخطاب وحالته، وإن لم تكن من بنية النص المنطوق أو المكتوب، نحو : أشدد، أكرر، أعود فأكرر، أقول ثانية، قلت أكثر من مرة، دعني أشدد... الخ"2 فهي تساعد المتكلم على تبليغ مقصوده وتبيين فحوى كلامه، فهي تتعلق باللغة الأولى المنتجة في ظروف معينة، لكن يكتنفها بعض الغموض وتحتاج إلى مزيد بيان

1- تزفيتان تودوروف: نقد النقد، رواية تعلم، تر: سامي سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، ط02، العراق، 1986، ص 17.

2- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، دط، القاهرة، مصر، 2014، ص 250.

وتوضيح ، لتتولى هذه اللغة الواصفة هذه المهمة البيانيّة والإرشادية لتحقيق المقصدية في الكلام أو العمل المفسّر.

لقد حصل انتقال اصطلاحي ومعرفي لهذه اللازمة أو التابعة اللغوية " meta " من حقل اللسانيات وتحليل الخطاب إلى حقل الدراسات النقدية والأدبية والثقافية عموما، لتحمل معنى المراجعة والمتابعة والمرافقة في عملية الوصف والإنتاج، للغةٍ ثانيةٍ توضّح المقصود وتبيّن خصوصيات النص المورود؛ أي البحث في علاقات النصوص الأصلية مع النصوص المفسرة اللاحقة، لأننا " عندما نتصور النقد كميطالغة، تتم مضاعفة كل العلاقات التناصية: لغتين اثنين، تاريخين وتذويتين. هل يحدث نفس الشيء في التناص الشعري؟ عندما أعاد ديكاس Ducasse كتابة باسكال Pascal، أكنا لا نتوفر على لغتين، تاريخيين، وتذويتين؟ ... أما الناقد الميتالغوي على العكس من ذلك، لا يعيد كتابة Pascal أو شخص آخر، فإنه يراكب خطابه، بشفافية تامة، على خطاب المؤلف الوصي محافظا بذلك على التراتبية الخطابية."1 والمتابعة المعرفية للعملية النقدية، تخص المنطلق والأداة أو الإجراء والبعد والقيمة.

يحدد الناقد والروائي الأرجنتيني إنريك أندرسون إميرت مجال اختصاص واشتغال وانتقال مصطلح نقد النقد من الفن العسكري إلى الحقل الميتانقدي، وأنّه مبحث نقدي " يوضح بأمانة حدود معرفة النقد الأدبي. ويتعلق بعامة بأعمال تتجاوز النقد، فهم ينقدون ما هو خارج النقد وبعيد عنه، مثلا: قصيدة أو رواية، لكن بدل أن ينقدوا عملا خياليا سوف ينقدون عملا هو بدوره ينقد عملا خياليا، وما يصنعونه هو ما ندعوه (نقد النقد Metacritica) ويمكن أن ندعوه (ما بعد النقد)، وهو العمل الذي يشير
إلى نقد آخر، وهذا بدوره لأنه موضع التحليل يمكن أن نسميه (نقد – غاية)، وكلا المصطلحين، وأخذناهما بمزاج رائق من الفن العسكري الخاص بالنقل."2

1- ليلى بيرون موزاي: التناص النقدي، مجلة نوافذ، النادي الأدبي بجدة، المملكة العربية السعودية، ع34، ديسمبر 2005، ص 56.

2- إنريك أندرسون إميرت: مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، دط، القاهرة، مصر، 1991، ص 66- 67.

أما من جهة تداول هذا المصطلح بين نقد النقد أو الميتا نقد؛ فـ" يظهر الاستقراء أن الكتابات في اللغة العربية حول هذا الموضوع، قد التزمت بمصطلح نقد النقد، أو بالانجليزية criticism of criticism. أما الكتابات في اللغة الانجليزية فهي تتقلب بين مصطلحين في الاستعمال هما: metacriticism وفي الفرنسية métacritipues والمصطلح الذي نقترح الالتزام به ونفضله لأسباب علمية وجيهة هو مصطلح (الميتا نقد) وهذا المصطلح في تقديري، له سمة اصطلاحية واضحة، فهو ليس مجرد إضافة لغوية لكلمة النقد إلى نفسها، ولكنه يعبر عن مستوى من الاشتغال المنهجي والمعرفي مختلف عن النقد الأدبي."1 ويورّد الناقد المصري جابر عصفور مصطلح النقد الشارح Metacriticism " في موازاة مصطلح اللغة الشارحة Metalanguage، ويلحّ كلاهما على الاستخدام النقدي بوصفهما دالين على التفات النقد إلى نفسه، وعلى وعي لغته بحضورها المائز في إشاراتها الذاتية. ويوازي مصطلح "اللغة الشارحة" مصطلح "النقد الشارح" في دلالة الخصوص داخل سياقات النقد الأدبي."2

إنّ مجال اختصاص واشتغال نقد النقد أو الميتا نقد يختلف جوهرا ومآلا عن مجال النقد الأدبي، كون هذا الأخير يشتغل على المتن الأول، الذي هو النص الأدبي، أما نقد النقد أو الخطاب الواصف فتنحصر مهامه في مراقبة ومتابعة حركية الأجهزة النقدية أثناء ممارسة فعل النقد والقراءة والكتابة.

إذن هناك حركة ذاتية يتخذها العقل النقدي على نفسه وعلى مكوناته الداخلية، فاحصا منطلقاته وأدواته وآلياته وإنتاجه لغة واصفة تصفّ هذه العملية النقدية، بطريقة علمية وبصفة موضوعية. وهذا ما يقصده الناقد اللبناني علي حرب في تعريفه لنقد النقد، وحملّه " على نقد العقل لذاته، أي نقد قواعد الذهن وآلية الفكر ومنطق البحث ومناهج التحقيق. وعندها لا تقتصر المعالجات على نتاجات الفكر بوصفها آراء ومفاهيم أو

1- باقر جاسم محمد: نقد النقد أم الميتانقد؟(محاولة في تأصيل المفهوم)، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع 03، مج 37، مارس 2009، ص 121.

2- جابر عصفور: نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، القاهرة، مصر، 1998، ص 271-272.

باعتبارها مذاهب ومدارس، بل تتعدّى ذلك إلى البحث في أصول المعرفة ونُظُمها وإلى التنقيب عن أسس الثقافة وبناها العميقة القارة."1

يظهر لنا مما سبق بأن خطاب نقد النقد موضوعه " هو الخطاب النّقدي، يضعه موضع فحصٍ ومساءلةٍ واستكشافٍ، يفكك أبنيته ويراجع منطلقاته ومسلّماته ويختبر مناهجه وآلياته، وربّما انتهى به التّصوّر والتّنظير لاتجاهاته وآفاقه وغاياته."2 تبيّن لنا من خلال الطرح ، أنّ متن نقد النقد هو خطاب ميتا- معرفي يشتغل على خطاب سابق هو النقد الأدبي، الذي يبحث بدوره في خطاب سابق له أيضا هو الأدب، هذا الأخير هو خطاب منتج يعبر عن عوالم واقعية أو متخيلة للأديب؛ وهذا يكون عن طريق بعض الصيغ التعريفية والتوضيحية والتفسيرية والتعقيبية التي يقدمها الناقد المتخصص أو الخبير أثناء فحصه ومعاينته للعمل المنقود.

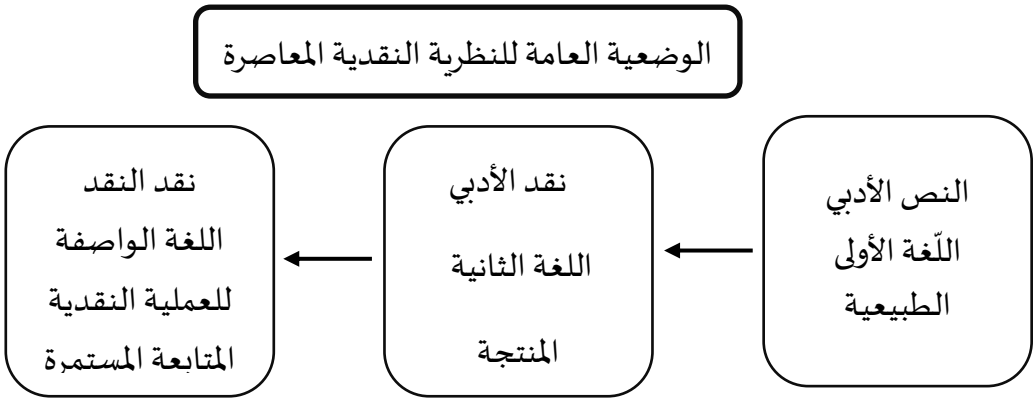

4 - حضور الخطابات الواصفة أو الكتابات الميتانقدية في الثقافة النقدية العربية المعاصرة:

لم تخلو الدراسات النقدية العربية المعاصرة من الخطابات الواصفة التي كانت سندا منهجيا ومعرفيا قويا للنقاد، في معالجتهم للنصوص الأدبية، على اختلاف زوايا النظر

1- علي حرب: نقد النص، ص 69.

2- جموعي سعدي: نقد النقد في الثّقافة العربية المعاصرة، دراسة نقدية في مشروع محمد لطفي اليوسفي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللغة والأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية 2014/2013، ص 34.

ومواطن التحديد والتوضيح والتعقيب والتقييم لهذه التجارب النقدية، وهذا من جهة المصطلحات والمفاهيم المستعملة في الدراسة، ومدى التزامها بالمواضعات الاصطلاحية والمفاهيمة المتداولة في الثقافة النقدية، والتساؤل النقدي حول الانزياح المصطلحي والمفهومي لناقد من النقاد، وكذا متابعة حركيّة وإنجازيّة المنهج النقدي المستعمل في التحليل النقدي؛ وبيان الأثر المعرفي لهذا المنجز النقدي على المستوى المحلي أو العالمي.

ومن المساهمات النقدية العربية في هذا الاختصاص المعرفي الحديث منجزا، القديم ضمنا وإشارة سواءً في بطون الكتب أو في عناوين المقالات العلمية في المجلات المحكمة؛ ففي " منتصف القرن العشرين أي في عام 1950 نشر عباس محمود العقاد ديوانه (بعد الأعاصير). وقد كتب مقدّمة لهذا الديوان، جاءت بحوالي عشر صفحات من الحجم الصغير، كرّسها للحديث عن نقد النقد، ولاسيما نقد النقد الأدبي.. جاء في تلك المقدمة: ((نحن في زمن المراجعة والتقويم. نراجع كل شيء ونعيد تقويم كل شيء، وننقد ونعيد النظر في مقاييس النقد نفسه."1 تجسد هذه المقولة من عباس محمود العقاد درجة الوعي النقدي في ضرورة مراجعة المنجز النقدي العربي الحديث، وضرورة مسايرة المتغير الحضاري الذي أصاب الفكر الإنساني في ذلك الزمن، بما فيه الأدب والنقد.

وضمن هذا المنحى التقييمي ومراجعة المنجز النقدي العربي، نذكر مشروع جابر عصفور في مؤلفه: قراءة التراث النقدي، نظريات معاصرة، المرايا المتجاورة- دراسة في نقد طه حسين، وتأكيده على ضرورة تفعيل هذا النشاط المعرفي الذي " ينصرف إلى مراجعة الأقوال النقدية، كاشفا عن سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية."2 وفي مؤلفه هذا محاولة جادة لإعادة قراءة التراث النقدي العربي بالمناهج النقدية المعاصرة، على غرار نظرية القراءة والتلقي والمنهج التأويلي؛ " وأحسب أن النقد الأدبي العربي يمر بمرحلة تنطوي على بدايات انقطاعات معرفية من هذا النوع، بدايات يوازيها – من الناحية النظرية – تصاعد النشاط الذي يقوم به نقد النقد والنقد الواصف،

1- عبد العظيم السلطاني: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، تموز ديموزي، ط01،دمشق، سوريا، 2018، ص 89.
2- جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر ، ط01، قبرص، 1991، ص11.

مراجعة وتأصيلا وتأسيسا، من حيث هو نشاط معرفي (ابستمولوجي) ينعكس معه النقد على نفسه ليختبر ويوضح الفرضيات التي تستند إليها المناهج والنظريات القائمة والمتوارثة، ومن ثم دور الناقد في تحديد وتعيين أو حتى تأسيس وتشكيل موضوع نقده."1 فنجده في مؤلفه هذا يفحص طريقة قراءة نقادنا العرب للتراث النقدي، من أمثال: زكي نجيب محمود وطيب تيزيني وأدونيس وحسين مروة ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي ومحمد أركون وفهمي جدعان، وتصنيفها ضمن المنحى النقدي المعتمد أو القراءة المنتهجة؛ كالقراءة الانتقائية والتثويرية والتنويرية.

نذكر ضمن هذا السياق، دراسة الناقد المغربي حميد لحميداني : سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، وتأكيده على ضرورة تفعيل هذا النشاط التقييمي والتوجيهي، بل ذهب إلى تقديم المنهجية العامة لنقد النقد؛ والتي تتضح في الخطوات المنهجية التي يعتمدها ناقد النقد في مراجعة ومعاينة العمل النقدي، وبيان صحة تطبيق المناهج النقدية على النصوص الأدبية؛ " إن الموقع الطبيعي لناقد النقد هو أن يتخلى عن تبني أحد مناهج نقد الإبداع، وأن يترك هذا الاختيار لنُقاد الإبداع وحدهم، لأن المجال الأساسي لبحثه ليس هو معرفة الأدب بل معرفة الكيفية التي نعرف بها الأدب."2 وأهم الشروط الواجب توفرها في تقنيات التحليل النقدي (الوصف- التنظيم- التأويل- التقييم الجمالي- اختيار الصحة) متخذا من النقد الموضوعاتي عينة تحليل وممارسة لخطاب نقد النقد الأدبي (الروائي والشعري).

ناقد مغربي آخر اشتهر بكتابة والتأصيل لهذا النشاط المعرفي؛ محمد الدغمومي في كتابه: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، الذي أراد من خلال هذا المصنف الوقوف عند الحدود المنهجية بين الحقول والخطابات المتداخلة والمتقاطعة مع خطاب نقد النقد، وهو خطاب "التنظير النقدي"؛ " فخطاب نقد النقد ينكب على النقد من أجل إنجاز عمل

1- جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، ص 16.

2- حميد لحميداني: سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة آنفو- برانت، ط02،فاس، المغرب، 2014، ص 10.

على عمل موجود، وخطاب التنظير ينكب على النقد من أجل اقتراح بديل جديد. وبين إنجاز العمل والاقتراح يكون الحاصل أحيانا متشابها، وأحيانا يقرب خطاب نقد النقد إلى خطاب التنظير بحيث يمارس هذا بعض اختصاصات الآخر."1 وهذه مسألة في غاية التعقيد والتشابك، حاول الناقد أن يوليها بمزيد من التأصيل وإعادة الترتيب وإعطاء البديل، وهذا يدخل ضمن إطار وصف المنظومة النقدية العربية المعاصرة. يصف الناقد العراقي عبد العظيم السلطاني التجربتين، وأهم الفروقات المعرفية بينهما في قوله: " فبحث لحمداني فيه تركيز على التنظير للبعد المنهجي لنقد النقد الأدبي وخصوصيته واستقلاله عن النقد الخاص بالنصوص الإبداعية. ومن خلال هذا البعد المنهجي تتسع دائرة الحديث لتشمل المفاصل الابستمولوجية لنقد النقد الأدبي. في حين بحث محمد الدغمومي ينطوي على تنظير لنقد النقد الأدبي من مختلف أركانه ومستوياته، وكأنّه ينظر من مرتفع، ليتبيّن طبيعة نقد النقد الأدبي وموقعه من الفعاليتين: الفعالية الإنشائية (النص الأدبي الإبداعي) والفعالية النقدية التي انبنت على الفعالية الأولى، ليُنتج (النص النقدي)."2

ومن التجارب العربية الرائدة في هذا الحقل المعرفي، تجربة الناقد التونسي عبد السلام المسدي، الذي أشار إلى قيمة هذا النشاط أو الفعالية الابستمولوجية في العديد من مؤلفاته ومقالاته العلمية. يشير في كتابه: الأدب وخطاب النقد، إلى أنّ خطاب نقد النقد يشكل خطاب النصيحة إلى النقد الأدبي؛ " نقد النقد بما هو خطاب النصيحة في مواجهة نقد النقد بما هو خطاب الاغتياب، واحد يكتبه الذين يغارون على النقد الحديث وواحد يكتبه الذين يغارون من النقد الحديث، الأول يتم إنتاجه داخل الدائرة من موقع النصير، والثاني تنتجه آلة الاعتراض، الأول ابن الحميّة المعرفية، والآخر وليد الحميّة الثقافية."3

واتخذ للتمثيل عن هذا المعنى أو المهمة التصحيحية، تجربة حامد أبو أحمد النقدية في مؤلفه: (نقد الحداثة). تطالعنا ضمن هذا المنحى التقييمي التصنيفي التوجيهي، تجربة

1- محمد الدغمومي: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب، ط01،الرباط، المغرب، 1999، ص 10-11.

2- عبد العظيم السلطاني: مقاربات في تنظير نقد النقد الأدبي، ص 109.

3- عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، طرابلس، ليبيا، 2004، ص 244.

الناقد الجزائري حبيب مونسي في مؤلفه: نقد النقد- المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، عبر تناوله لمجموعة من المناهج السياقية والنسقية بالدراسة والتصنيف، مع ذكر مسارات التحليل والتنزيل لمنطلقاتها وأسس تفكيرها وسبل تحكيم آلياتها ومقولاتها؛ " لقد تتبعنا في هذه الدراسة المناهج السياقية منهجا منهجا، وأنهينا كل فصل بحصيلة من المآخذ، وبينا الخلل في النقل والفهم، كما بينا نوعية الإضافة التي قدمها هذا النقد. وتركنا للقارئ أن يخرج من هذه الدراسة بشعور يدفعه إلى ضرورة العودة من جديد إلى المعارف الإنسانية للاستفادة منها، ولكن بطريقة أخرى.. طرقة لا بدلها من وضوح الرؤية، والابتعاد عن الأحكام الجازمة النهائية، والخروج من طوق الدراسة اللغوية الذي ضيق الخناق على المبدع والقارئ معا."1 وهذا في الحقيقة من صميم المهام المنوطة بخطاب نقد النقد، ومتابعة حركية المناهج النقدية المقاربة للخطابات الأدبية المتنوعة.

هذه العينات أو النماذج المختارة، أردنا إيرادها من باب التمثيل لا الحصر، وبيان مستوى الوعي الميتامعرفي والميتامنهجي الذي صاحب الدراسات النقدية العربية الحديثة والمعاصرة، وإنتاج لغة واصفة شارحة تصف وتشرح خصوصيات التجربة أو الممارسة، من جهة طريقة توظيف المصطلح الخادم وإيراد المفهوم النقدي المناسب للطرح المعرفي، واختبار صحة المنهج كأداة علمية في سبر أغوار النصوص والغوص في طبقاته وبنياته.

5- جهود وإسهامات عبد الملك مرتاض في تأصيل وتأسيس الخطاب الواصف للنقد الأدبي المعاصر:

يعدّ الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض منارة نقدية متميزة في النقد العربي المعاصر، نظير الإسهامات النقدية الكبرى التي قدّمها للقارئ والمتخصص العربي في ميدان الأدب والنقد، وجمعه بين الإبداع والتطبيق والتأصيل والتأسيس والمراجعة النقدية الهادفة.

اشتُهر الناقد بخماسيته النظرية (نظرية النص- نظرية الرواية- نظرية القراءة- نظرية النقد- نظرية البلاغة)، والتنظير النقدي والمعرفي ضروري لبناء صرح ومملكة النقد والأدب؛

1- حبيب مونسي: نقد النقد- المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج،منشورات دار الأديب، دط، وهران، الجزائر، 2007، ص 06.

وهذا " ما حمل النقاد المعاصرين على اللهج بمصطلح "النظرية" فإذا الأدب نظرية، وللنقد نظرية، وللرواية نظرية، وللنص نظرية، وهلمّ جرا. والذي ينهض بذلك إنما هو ينظرّ."1

ولتوجيه الرؤية الواصفة أو الشارحة لهذه التجربة النقدية المتميزة، وقع اختيارنا على مدونته المشهورة: " نظرية النقد، متابعة لأهمّ المدارس النّقديّة المعاصرة ورصد لنظريّاتها " والذي يرصد من خلالها أهم المناهج والأفكار النقدية القديمة والحديثة، التي حاول تفسير الأدب والحكم عليه، من جهة الإجادة والإصابة في تأدية المعنى من المؤلف إلى المتلقي، وهذا ما عبر عنه بثنائية الكتابة والقراءة، والعلميات المعرفية التابعة لهما، (التحليل - دراسة - التشريح - التفكيك- سيميائية- قراءة القراءة) كآليات وصفية للمتون الأدبية؛ التي من أهم سماتها:

أ)- الخيال الخالص.

ب)- الجمالية الإنشائية.

ج)- الشعرية الرفيعة.

أما النص الثاني: (النص النقدي) أو (النص الوصفي) فله سماته من أبرزها:

أ)- إصدار الأحكام.

ب)- التعليق

ج)- الاعتماد على النص الأول في الصياغة المعرفية (التناص مع نصوص أخرى).2

لقد كان ديدن الناقد، تتبع مسار المناهج النقدية في معاينة ومسائلة النص الأدبي، وملاحقة الخلل والقصور في التحليل والقراءة، يقول مرتاض إنّ المناهج الحداثيّة تتّسم بالقلق، وعدّم الرّكون إلى مسار واحد في قراءة النّص الأدبي، بل في كل مرة يتطوّر ويتغيّر في أدواته

1- عبد الملك مرتاض: ثلاثة مفاهيم نقدية بين التراث والحداثة، أبحاث ومناقشات ندوة: قراءة جديدة لتراثنا النقدي، 19-11/24، 1988، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية، ص 261.

2- عمر بن طرية: عبد المالك مرتاض من خلال كتابه "في نظرية النقد"، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع08، ماي 2009، ص 192-193.

لأنّ النص يفرض ذلك، لذا يلج عالم النّص دون رؤية مسبقة ودون منهج محدّد، لأنّ النّص الأدبي هو من يفرض المنهج والأدوات التي بها سيحلّل."1

إنّ هذه المعاينة النقدية للوضعية المعرفية للمناهج التحليلية للنصوص الأدبية، تعدّ من صميم المراجعة النقدية أو اللغة الواصفة أو الكتابة الميتانقدية، التي عقدّ لها الناقد فصلا كاملا "الفصل الثامن" في مؤلفه: "في نظرية النقد" من جهة التأصيل المصطلحي والتأثيل التاريخي والتأسيس المعرفي والتوضيح البياني.

5-1- حول مصطلح نقد النقد:

بدأ عبد الملك تقديمه لهذا النشاط المعرفي من جهة تركيبة هذا الزوج النقدي "نقد النقد"، وبالتحديد في حال اللازمة أو السابقة المعرفية لمصطلح النقد، التي يُعبر عنها بـ: الميتا Meta؛ " تعني«سابقةُ» «Meta» ذاتُ الأصل الإغريقيّ، التعاقب، والتغيير، والمشاركة. في حين أنّها تعني في الفلسفة والعلوم الإنسانيّة، غير ما تعنيه في العلوم الطّبيعيّة؛ وهي تعني في مصطلحات تلك العلوم معنى «ماوراء» ، أو «ما بعد» ، أو «ما يجاوز» ، أو «ما يشمل »بالقياس إلى شيء من الأشياء، أو علم من العلوم."2 وكأنّ هذه اللازمة عند دخولها على حدّ النقد، تحمل معنى التعاقب والتعقيب في الشرح والتفصيل، والتغيير للوضعية المعرفية الكائنة، والمشاركة والتفاعل في إضافة حالات ووضعيات جديدة. وهنا يحصل هذا التضايف المصطلحي في إيراد واقتراح، بديل لهذه اللازمة "الميتا" وانحصارها في دلالة ماوراء المعرفة المنتجة أو ما بعد المراجعة المعرفية أو ما يجاوز المعرفة القديمة وتقديم معرفة بديلة وجديدة، أو ما يشمل هذا المكون المعرفي من آليات تحليلية وتفسيرية وتأويلية. وهنا يتساءل عبد الملك مرتاض عن جدوى إيراد هذه البدائل الاصطلاحية أو المعرفية في خطاب النقد، في قوله: " ما معنى أنّنا نتحدّث عن نقد، أو لغة نقد، بنقد على هامشه، أو من حوله، فنفصل الثاني عن الأوّل باستعمالنا مصطلح» ما وراء»؟ وهل إذا تحدّث ناقد محترف، عن

1- رشيدة غانم: اللغة الواصفة في نقد "عبد الملك مرتاض"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012/2011، ص 108.

2- عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، متابعة لأهمّ المدارس النّقديّة المعاصرة ورصد لنظريّاتها، دار هومة، دط، الجزائر، 2010، ص 221.

ناقد محترف آخر، نُقْدِمُ نحن على عدِّ عمل الثاني منفصلا عن عمل الأوّل؟ أم تعني عبارتا: «ما وراءَ» ، و ما بعدَ شيئا غيرَ ذلكما؟ أم يجب أن نبحث عن إيجاد معادل لهذا التَعبير، أو مقابل لذلك المعنى بمصطلح آخر؟..."1 فنجده هنا يبحث عن بديل اصطلاحي توافقي، يجمع بين هذه اللوازم أو السوابق الاصطلاحية، ويرضي ذوق المشتغلين في هذا المجال العلمي؛ " ويمكن أن نستعمل لذلك المعنى مثل مصطلح» اللّغة الواصفة» ، أو» اللّغة الحاويّة» ، أو حتّى» لغة اللّغة» ، أو» كتابة الكتابة» (والمصطلحان الاثنان الأخيران من اقتراحنا)، وذلك كما ترجم سامي سويدان مصطلح «Critipue de la critipue» إلى مصطلح « نقد النقد »، فتقبّله ذوق النّقّاد العرب المعاصرين تقبّلا حسناً."2 يدخل هذا الاجتهاد النقدي من الناقد، في إطار المراجعة المعرفية الشاملة للمدونة النقدية العربية التراثية والغربية الحديثة والمعاصرة، وتقديم رؤية شاملة جامعة للآراء المتباعدة والمختلفة، وجمعها في تركيبة ميتا-معرفية متكاملة، تظهر فيها مهام ووظائف نقد النقد، في مراجعة ومتابعة الخطابات النقدية (قبل - أثناء - بعد) الدراسة النظرية والممارسة التطبيقية على النصوص الأدبية.

لم يقتصر الدكتور عبد الملك مرتاض في تقريش وتفريش مصطلح نقد النقد في المدونة النقدية العربية أو المدارس النقدية الغربية، بل تعدى ذلك إلى تقديم مصطلح بديل لهذا المصطلح الأصيل؛ وهو مصطلح (قراءة القراءة)؛ " لقد اصطنع الباحث هذا التركيب الاصطلاحي للدّلالة على النشاط القرائي الذي يتناول قراءة أخرى. وجعله في مقابل "نقد النقد"، الذي اتخذه "تودوروف" عنوانا لواحد من كتبه. وقراءة القراءة، تقع في المرتبة الثالثة من النص الإبداعي. ذلك لأنها تقوم على قراءة أخرى تبحث في خطواتها، وأدواتها و كيفيات إنتاجها للمعنى، وتوسيع حدود الأثر."3 ويقدم عبد الملك مرتاض تفسيرا منطقيا ومعرفيا لهذه الإضافة المنهجية؛" إننا نريد إلى الإضافة التي تعني الاندماج والتفاعل و

1- عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، ص 222.

2- المصدر نفسه: ص 222.

3- حبيب مونسي: فعل القراءة النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، دط، وهران، الجزائر، 2001، ص 64.

التذاوب، لا التحيّز والامتلاك. فالإضافة في قولنا : "قراءة القراءة" تعني تسلّط قراءة سابقة دون أن نزعم للقراءة اللاحقة أن تكون أمثل من القراءة السابقة وأرقى. فإنّما الذي يعنينا هو وجود قراءة تنسج من حول قراءة أخراة سبقتها: تصفها، وتحللها، وتدرسها، وتبلورها، وتستضيئها وتبث فيها روحا جديدا لتغتذي منتجة مثمرة."1 وهو المقصود والأمل المنشود من هذه الفعالية المعرفية.

2-5- التأصيل والتأثيل للمصطلح والممارسة:

تميّزت أعمال ودراسات الدكتور عبد الملك مرتاض بالتقصي الدقيق والبحث العميق في الآثار والمدونات النقدية القديمة، العربية والغربية منها، قصد التماس حيثيات النشأة وأسباب الظهور والوجود لمثل هذه الجهود؛ ومع التماس أثر ظهور خطاب نقد النقد، من جهة الاستعمال الأول وأسباب النشأة ودواعي الحضور، فإنّ الناقد يُرجع الفضل إلى سرج دوبروفسكي (Serge Doubrovsky) الذي " اقترح مصطلح «نقد النقد» ، ربما لأول مرة، وذلك في مقدمة كتابه لماذا النقد الجديد؟ (Pourquoi la nouvelle critipue) حيث قال بالحرف: (Une critique de la critique) ويبدو أن طودوروف إنما جاء بعد دوبروفسكي، فأطلق هذا المصطلح نفسه على كتاب نشره بهذا العنوان."2

إنّ تتبع هذا الأثر من الناقد دليل على سعة اطلاعه وثقافته واسعة ومعرفته الدقيقة بالمدلول المعرفي لهذا الخطاب الواصف أو الشارح، " ولعل تلك التصورات التي يطرحها صاحب هذه الدراسات أن تكون كاشفة عن رؤية ترى أن تحليل الخطابات النقدية إن هو إلا نوع من الحفر الذي يتم رأسيا وأفقيا في آن واحد متخذا من النصوص - سواء في ذاتها أو في تقاطعها مع نصوص وخطابات أخرى متعددة - مادة لإجراء فعل الحفر، وينطلق -ذلك

1- عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة، تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط،وهران، الجزائر، دت، ص 40.

2- عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، ص 53.

الفعل- في حركة مستمرة من سطوح النصوص إلى أعماقها سعيا للكشف عن هوية الخطابات التي تتبلور فيها."1 هذه النصوص المؤسسة لهذه الأنشطة المعرفية.

لقد تلمس الناقد بعض المحاولات التأسيسية لهذه الأنشطة المعرفية في كتابات الفلاسفة والمتكلمين المسلمين والبلاغيين واللّغويين العرب، من أمثال عبد القاهر الجرجاني في قضية " معنى المعنى " أو " المعاني الثواني".

إنّ العودة إلى الأصول المؤسِسَة للخطابات المؤسَسَة من أهم الضرورات المنهجية لدى ناقد النقد، وفهم الأسباب والمتغيرات الحاصلة في بنية هذه الأجهزة النقدية، دليل صحة ورفيع قيمة لهذه المشاريع الواصفة أو الشارحة.

5-3- التطبيق والتمثيل:

لقد اتخذ الدكتور عبد الملك مرتاض مجموعة من المدونات النقدية العربية والغربية، التراثية و الحداثية، التي انبرت لمزاولة مهمة المراجعة النقدية، أو الكتابة الواصفة والشارحة للكتابات النقدية الواصفة والشارحة للنصوص الأدبية؛ "فإنّنا نودّ أن نجتزئ بتناول أربع تجاربَ فقط – ممّا نعتقد أنّه يعتزى إلى جنس «نقد النقد» - : تجربتين اثنتين من نقد النّقد العربيّ، وتجربتين أخريين من نقد النَقد الفرنسيّ. ولتكن التجربة النقدية العربية من كتابات علي بن عبد العزيز الجرجاني من القدماء، ومن كتابات طه حسين من المعاصرين. على حين أنّنا ارتأينا أن نتناول بعض النّماذج، بالقياس إلى التجربة الفرنسيّة في مجال نقد النّقد، من كتابات رولان بارط، و تزفيتان طودوروف."2

لقد حاول الدكتور عبد الملك مرتاض، أن يثبت تضلع نقادنا الأوائل ومعرفتهم العميقة لهذه الممارسة أو المراجعة النقدية لما في الساحة الثقافية من نتاجات نقدية، إما من ناحية تدقيق مفهوم النقد أو توضيح أمر السرقات الأدبية، أو إثبات النسبة للمؤلفات النقدية لأصحابها، أو الإنصاف بين الأدعياء أو الخصماء حول الشعراء، كصنيع علي بن عبد العزيز

1- سامي سليمان أحمد: حفريات نقدية، دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، ط01، القاهرة، 2006، ص 11.

2- عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، ص 228-229.

الجرجاني مع شعر المتنبي في كتابه: "الوساطة بين المتنبي وخصومه"، وإشارته لبعض القضايا النقدية المهمّة، والتي كان ميلاد في القرن العشرين كالتناص مثلا. " فالأولى، أن الجرجاني في هذا التنظير المبكر، ليس في النقد العربي القديم فحسب، ولكن في تاريخ النقد الغنساني من حيث هو، يكشف عن فكر ثاقب، وذكاء خارق، فيستنبط من حيث لا يشعر، نظرية حديثة – وذلك برده لنظرية السرقات الأدبية التي كانت تشغل أذهان الناس على عهده – هي نظرية التناص."1

وفي مقابل هذه الدراسة التراثية، تناول الناقد تجربة نقدية متميزة في تاريخ النقد الادبي الحديث، وهي تجربة طه حسين النقدية والميتانقدية، هذه الأخيرة هي محل دراسة من الدكتور عبد الملك مرتاض، وذلك من خلال اعتراضه وردّه على الكاتب عبد العظيم أنيس والمفكر محمد أمين العالم، في مقالة له بعنوان: "يوناني لا يُقرأ" حول قضية التفاعل والتواصل بين الباث والمتلقي من حيث السنن اللغوي والثقافي الجامع بينهما، وقضية الصراع بين القديم والجديد.2

ومن التجارب النقدية الغربية التي تناولها عبد الملك مرتاض بالفحص والتنقيب عن تجليات نقد النقد فيها، مبرزا مواطن الاستعمال والتوظيف لمبادئ نقد النقد وأهم المدونات النقدية التي اشتغل عيلها رولان بارت؛ " كالتنظير لبعض القضايا النقدية التي لا تتعلق بالتعليقات على النقد مثل « لا مدرسة لروب قريي»، و«الأدب واللغة الواصفة...» يمكن أن ينضوي بعضها تحت مفهوم « نقد النقد»؛ وذلك على الرغم من أن بارط لم يتكلف إطلاق مصطلح « نقد النقد » على ما كتب أصلا. ويمثل ذلك في جملة من المقالات التي اشتمل عليها كتابه « مقالات نقدية»؛ ولاسيما مقالتاه: « النقدان الاثنان»،« ما النقد»."3 وتظهر الاستدراكات النقدية من الناقد الفرنسي رولان بارت حول مسألة النقد الإيديولوجي أو النقد القائم على التأويل، من خلال التوضحيات والتعليقات التي قدمها الناقد في مقالات

1- عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، ص 233.

2- ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النقد، ص 236- 243.

3- المصدر نفسه: ص 243.

نقدية لاحقة له، وخاصة في مقالة له بعنوان: "ما النقد"، يكشفها مرتاض في سطور من هذا الفصل من الكتاب، بالإضافة إلى قضية اللغة الواصفة في كتابات بارت اللسانية والنقدية. ويختم الناقد هذا الفصل أو هذه التجارب الرائدة في حقل أو خطاب نقد النقد الأدبي الغربي، بتجربة تزفيتان تودوروف الذي انكب على دراسته نتاج المدارس النقدية الغربية؛ بدءا بالشكلانيين الروس، إلى نتاج مجموعة من الكتاب والنقاد، على غرار: سارتر وبلانشو وبارت وميخائيل باختين ونورثروب فراي وإيان وات وبول بنيشو، وأهم الخلفيات الفلسفية والإيديولوجية التي يستند إليها هؤلاء الأعلام في معالجة الأدب.

يقدّم الدكتور عبد الملك مرتاض في نهاية هذا الفصل والدراسة، رؤية منهجية معرفية ضابطة لحدود الاشتغال الميتانقدي على الخطاب النقدي، كونّ الأمر قائم على المصاحبة والملازمة والمتابعة، وتذليل العوائق الابستمولوجية التي تعترض طريق الناقد الأدبي، وإلى ضرورة تشاركهما وتعاونهما في إنتاج لغة نقدية منتجة ومثمرة.

6. خاتمة:

يمكن لهذه الدراسة أن تخلص لجملة من النتائج أهمها:

- قيمة المراجعة المعرفية والمنهجية للخطابات النقدية.
- يعد نقد النقد خطاب على خطاب أو لغة على لغة (خطاب نقد النقد على خطاب النقد).
- قيمة نقد النقد تظهر في توجيه النقد الأدبي قبل وأثناء وبعد التحليل النقدي.
- تعدد التسميات والاصطلاحات لهذا الزوج النقدي، دليل ثراء واشتغال واسع من النقاد.
- حضور هذا النشاط المعرفي في الكتابات النقدية العربية علامة صحة ونضج التجربة.
- الممارسة الطويلة والمدارسة العميقة من عبد الملك مرتاض للكتابات النقدية العربية والغربية التراثية والحداثية، مكناه من تقديم رؤية علمية متوازنة.
- اشتغال عبد الملك مرتاض على خطاب نقد النقد، شمل المصطلح والمفهوم ومحاورة الأصول وتقديم نماذج للدراسة من مختلف العصور.
- خلصّ عبد الملك مرتاض في الأخير، إلى أنّ نقد النقد ما هو إلى خطاب مصاحب لخطاب النقد الأدبي، غرضه الارتقاء بالممارسة النقدية وتقديم قراءة منتجة ومثمرة.